الفصل الأول

الحقبة الشارونية
و حتمية المقاومة

obeikan.com

obeikan.com

المبحث الأول

أوهام الخوف من شارون(*)

لماذا كل هذه المخاوف التى تغلب على الخطاب السياسى العربى إزاء احتمالات فوز «شارون» فى الانتخابات الإسرائيلية؟ وهل هذه المخاوف هى حقيقة أم مجرد أوهام؟ وهل من الواجب أن نبلع طُعم «باراك أم شارون»؟ وهل هى محاولة لإقحام الطرف العربى فى انتخابات إسرائيلية تُعدُّ شأنًا داخليًا؟ وكيف نفهم التوقعات وإمكانات التعامل مع كل الاحتمالات سواء بفوز باراك أو شارون؟

كل هذه التساؤلات وغيرها تفرض نفسها على الضمير الوطنى العربى فى هذه المرحلة الحساسة من تاريخ المنطقة العربية بل والعالم بأسره. وأقر فى البداية بأننى أكتب هذا المقال عشية الانتخابات الإسرائيلية، وأصبح مرجحًا بدرجة كبيرة تملأ كل الأجواء، إمكانية نجاح شارون. فاستطلاعات الرأى داخل إسرائيل تشير إلى فوز ساحق لشارون يتجاوز ٥٠٪، بينما لن يتجاوز باراك ٣٠٪ مع امتناع نسبة كبيرة تعادل البقية، عن التصويت احتجاجًا على هذا وذاك.

وأصبحنا نتعامل مع معطيات الواقع وكأن شارون قادم لا محالة. وبدأت المخاوف تنتشر فى أحاديث المسئولين العرب من إمكانية تعرض المنطقة لحالة حرب حقيقية أو على الأقل لدرجة عالية من عدم الاستقرار نتيجة قدوم شارون للحكم فى إسرائيل. ومن كثرة هذه المخاوف وانتشارها، انتشر معها حديث الساسة العرب عن القدرة العربية على الدفاع عن الحدود فى حالة التعرض لأى عدوان إسرائيلى على أراض عربية!!

* ولعل تاريخ هذا الرجل (شارون)، وتكوينه الشخصى الذى يتسم بالعدوانية فى أحاديثه وعنف تعاملاته مع الآخرين، يشير إلى أن السجل حافل عبر فترات عمره

(*) نشرت بالأهرام، بتاريخ ٩/ ٢/ ٢٠٠١م.

المختلفة بأن يديه مخضبتان بالدماء العربية وفى مقدمتها الدماء الفلسطينية. وهو فى هذا شأن كل القادة الإسرائيليين الذين ظهروا على السطح حاضراً وماضياً بل ومستقبلاً، لكن قد يبدو من شدة صراحته أنه أعلى نبرة وأكثر حدة وأقل ديبلوماسية ودهاءً.

ولذلك فإنه يبدو أن المفاوض العربى يحلو له أن يتعامل مع حاكم إسرائيلى مراوغ وأكثر دهاءً وكذبًا ولا يلتزم بما يقول أو يوقع من اتفاقات، حتى ولو لم يصل إلى شىء محدد!!

هم يخشون «شارون» باعتباره يحمل سهامًا حقيقية لا سهامًا ورقية أو شكلية. فى الوقت ذاته فإن مآل التفاوضات فى السنوات الخمس الأخيرة لم يصل بعد إلى شىء (ثلاث سنوات لـ «نيتنياهو» وعامان تقريبًا لـ «باراك»). وسواء أكان فى الحكم شخص متشدد مثل «نيتنياهو» أو شخص «مرن» مثل «باراك»، فإن النتيجة واحدة وهى لا شىء من مفاوضات السلام مع إسرائيل!!

ويقدِّر البعض أن رحيل «رابين» كان خسارة كبرى لعملية السلام، والحقيقة غير ذلك لأن «رابين» لم يكن قد وصل إلى محطة السلام الحقيقية. فلم يصل بعد إلى القضايا الجوهرية فى «صراع السلام»، وهى: القدس، والمستوطنات، وحق اللاجئين فى العودة، وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة ذات السيادة الكاملة. ولو كان قد استمر رابين أو بيريز، ما كان قد استطاع أن يصل إلى نتيجة تذكر حتى الآن.

* ونعتقد أن السبب الجوهرى ليس فى رابين أو شارون أو باراك، بل إنه يكمن فى «الموقف العربى» ذاته. فهل هذا الموقف قادر على أن يكون تجسيداً أو ترجمة لإرادة عربية موحدة - وليست واحدة - فى مواجهة إسرائيل ومن يساندها فى الولايات المتحدة وأوروبا؟ أم أنه موقف ضعيف تعبر عنه إرادات متفرقة وواقع عربى ممزق تترجمه جامعة عربية تتسم بالوهن والعجز والشيخوخة؟!

* فالانتخابات الإسرائيلية تعبر عن إرادة المجتمع الإسرائيلى. فإن اختارت الغالبية شارون، فهى تريده محارباً ومهدداً وقويّا فى مواجهة العرب، ومستثمراً قدراته فى فرض لغة القوة على طرف يخشى كلمة «الحرب» وينحنى للسلام الأعرج، ويرتعد من أى تهديدات بالعنف، وينسحب إلى الإشارة لإمكانية الدفاع!! وهذا بلا شك يحقق أعلى المكاسب للطرف الإسرائيلى فى أى مفاوضات قادمة تحت التهديد باستخدام

القوة. بعبارة أخرى أن الناخب الإسرائيلى من الواضح أنه يختار «إرادة القوة» فى مواجهة «إرادة السلام»، وذلك باختياره شارون.

وسيناريوهات المستقبل بدأت فى الصياغة فيما بعد تولى شارون الحكم بعد رحيل باراك. وهناك من الاحتمالات باشتعال حرب عربية إسرائيلية جديدة تعيد لإسرائيل الأراضى التى تركتها بعد أن سبق لها احتلالها عقب يونيه ١٩٦٧م، وتبدأ فى تجسيد حلم إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات!!

* وقد يبدو أن احتمال تصاعد العنف والعنف المضاد قائم، إنما أن تحدث حالة حرب كبرى فى المنطقة فى ظل شارون أو غيره، فهذا محل شك كبير لدينا. ويرجع ذلك لظروف موضوعية علينا قراءتها وإلا سنركن لتحليلات «سيناريو الضعف»!! فالواقع العربى يتغير بدرجة سريعة فى حالة التعرض لحالة من الاستنفار والأزمة. لذلك فإن مجىء شارون سيحقق أكبر فائدة للنظام العربى الذى بدأ يدخل مرحلة «التماسك والتنسيق» فى ظل معادلات صعبة وتغيرات شديدة إقليميًا وعالميًا، وضغوط بيئية نابعة من الداخل والخارج.

* **فالنظام العربى** بدأ فى التماسك بالاتجاه نحو تثبيت مؤتمر القمة العادى سنويًا فى مارس من كل عام فضلاً عن إمكانية عقد مؤتمر طارئ فى أى وقت. فضلاً عن أن هناك إجماعًا عربيًا يشمل منطقة الخليج كلها على ضرورة المعالجة العربية «للمسألة العراقية»، ونعتقد فى قوة النتائج التى يتم إحرازها على هذا الصعيد.

* كما أن الحشد العربى المساند لليبيا فى مواجهة أزمة لوكيربى قد أتى بنتائج طيبة، فضلاً عن إنجازات كبيرة بين الدول العربية كافة حول قضية الحدود التى وصلت إلى انفراجة كبيرة ونهاية فاصلة. بالإضافة إلى ذلك، هناك جهود عربية لحل مشكلات داخلية لعدد من الدول العربية (حالة السودان، والصومال، وجيبوتى). ويبقى إزاء هذا كله أن يصب فى تقوية مؤسسة الجامعة العربية لتكون منظمة عربية قوية تحرك الواقع العربى فى مواجهة التحديات العالمية والإقليمية، وتجسد حالة جديدة لنظام عربى أكثر تماسكًا وأكثر قدرة على استيعاب متغيرات العصر.

* إن نجاح شارون سيسهم فى «تسريع» خطوات «التماسك العربى»، وتدعيم المفاوض العربى؛ وما لم نستطع أن نحصل عليه من «باراك المراوغ»، نستطيع أن

نحصل عليه من «شارون الدموى» مهما حاول التهديد باستخدام القوة. لأن الأمر نعتقد أنه فى أيدينا نحن، حيث نمتلك مقومات الفعل ولكن تنقصنا «إرادة الفعل» فى مواجهة «التهديد بالفعل». علينا أن نستثمر تغيير الإدارة الأمريكية، بفعل عربى أولاً، وأن نستثمر واقعًا إسرائيليّا ممزقًا وغير مستقر، وأن نحتسب لكل الاحتمالات. فإرادة السلام هى إرادة متبادلة، وإرادة التفاوض لأجل السلام لا تصل إلى نتائج عادلة إلا بإرادة القوة. وهذا هو درس أكتوبر ١٩٧٣م، ولذلك ليس فى نجاح شارون إلا وهم كبير بلا مخاوف حقيقية كما يظن البعض، بل إن مجيئه سيحقق للنظام العربى كل التماسك، وستتغير معادلات كثيرة فى الواقع الإقليمى والدولى بشرط استثمارنا لها وهو المتوقع بإذن الله. وفى الأيام القادمة سنشهد ما يؤكد ذلك، وعلينا الانتظار.

***

obeikan.com

المبحث الثانى

انتفاضة الجسد العربى والإسلامى فى مواجهة شارون(*)

يخطئ من يتصور بداية أن شارون يعبر عن نفسه، أو أننا نواجه شارون شخصيًا. فشارون هو تجسيد لإرادة الدولة الصهيونية (إسرائيل). فالشعب الإسرائيلى هو الذى اختاره طواعية وعبر الصناديق الانتخابية. ومن ثم فإن المواجهة الحقيقية مع دولة إسرائيل التى تمارس «إرهابًا» عند اختيارها شارون، وعند السماح له وبلا حدود فى محاولة اغتيال الشعب الفلسطينى أطفالاً وشيوخًا ونساءً وشبابًا ورجالاً وقيادات حتى رمز هذا الشعب (عرفات)، ورموز المقاومة. وهو بالتالى لا يختلف عن سابقيه: باراك أو نيتنياهو أو بيريز أو حتى رابين، إلى بيجين. فكلهم يناورون حول عملية السلام، ولا يفكرون إلا فى السلام الإسرائيلى، ولا يعبئون بالشرعية الدولية ولا مواثيق الأمم المتحدة، ولا يحترمون اتفاقاتهم، حتى معاهدة كامب ديفيد والمعاهدة المصرية الإسرائيلية يسعون لانتهاكها بتهديد مصر بين آن وآخر، ويخرج علينا بعض قيادات إسرائيل - دولة الإرهاب فى المنطقة، بإمكانية إسرائيل فى ضرب السد العالى، وإعادة احتلال سيناء، وكأن كل شىء مباح أمامها!!

كما يخطئ من يتصور أن الشعب العربى وأنظمته يواجهون إسرائيل فحسب، بل نحن فى مواجهة حقيقية مع الولايات المتحدة التى تدعم إدارتها الحالية (بوش الابن)، إسرائيل بلا حدود. وأصبحت الإدارة الأمريكية تأخذ طفلها المدلل (إسرائيل) إلى المنتديات العالمية لحمايتها، فإن اجتمعت قوى العالم وممثلوه ضد إسرائيل تسارع الولايات المتحدة بأخذ طفلها فى يديها وتنسحب كما حدث فى «ديربان» بجنوب إفريقيا فى سبتمبر (٢٠٠١م)، وكما حدث فى اجتماعات چنيف خلال النصف الأول من شهر ديسمبر ٢٠٠١م.

(*) نشرت بالأهرام، بتاريخ ١٥/ ١٢/ ٢٠٠١م.

كما نلاحظ أن **أوروبا** تكتفى بإرسال المبعوثين للفرجة والمتابعة، دون فعالية تذكر، **وروسيا** يدرك رئيسها أخيراً أن مسئول السلام فى الشرق الأوسط لا يتابع الأمر، فيعزله ويأتى بغيره، الذى لا نشعر به أيضًا - وكأن الرئيس بوتين لا يعلم شيئًا عما يجرى. أما الصين فحدث ولا حرج، إذ يبدو أن الأمر لا يعنيها، وتكتفى مثل اجتماعاتنا العربية والإسلامية بالشجب والإدانة وحث إسرائيل على الاكتفاء بما حدث!! (أى عدم التصعيد).

إن الأمر يبدو وكأن «شارون»، وشعبه الإسرائيلى، خرج من القفص ولا يقدر على مواجهته أحد؛ لأنه ليس هناك من يستطيع أن يقول له: «كفى ذلك» وبقوة وبإرادة وبجدية. إنما كل ما يقال له ولحكومته مجرد رجاء ظاهرى أو مناشدة بمحاولة إيقاف ما يقوم به ضد الفلسطينيين!!. فى الوقت ذاته نجد الإدارة الأمريكية تمارس ضغوطًا على ياسر عرفات وسلطته الفلسطينية بضرورة «كبح جماح» الانتفاضة واعتقال ناشطيها **وإلا** فلا مفاوضات، ولا قدرة على مطالبة إسرائيل بوقف ذلك العنف ضدهم. لأن الإدارة الأمريكية ترى أحقية إسرائيل فى الدفاع عن نفسها بأى وسيلة وطبقًا لما تراه قياداتها!. وأصبح بكل أسف الحق باطلاً، والباطل حقًا!! كما أصبح «الإرهاب» مشروعًا من جانب إسرائيل!!. والمقاومة ضد الاحتلال - برغم مشروعيتها بكل الوسائل وطبقًا لكل المواثيق الدولية - مدانة وغير مشروعة.

المشهد كما نرى يدعو للأسى والحزن العميق، وتسود لدينا حالة من الشعور بالعجز الشديد وعدم القدرة على الفعل. فهناك إجماع بين الأنظمة العربية كافة على عدم الرغبة فى انتهاج بديل «الحرب»، فى الوقت ذاته ليست هناك رغبة لدى إسرائيل فى «السلام» أو مجرد الموافقة على تنفيذ اتفاقات سابقة تقضى بإقامة دولة فلسطينية، وانسحاب إسرائيل من الضفة الغربية وغزة، وإنهاء القضايا المعلقة بين الطرفين فيما يتعلق بحق الفلسطينيين فى العودة طبقًا لقرارات الأمم المتحدة فى هذا الصدد، وقضية القدس، والمستوطنات الإسرائيلية فى الأراضى الفلسطينية.

* بعبارة أخرى، نحن فى مشهد «الأزمة» الحقيقية، وهو مشهد «اللاحرب، واللاسلام»، فماذا نفعل؟

إن أسوأ ما نصل إليه هو أن نبدو كأننا نتسول السلام، ونستعطف شارون، ونرجو

الإدارة الأمريكية، ونأمل خيراً من أوروبا، وندعو الصين وروسيا لمجرد الاهتمام!! ويبدو الوضع كما لو أننا ليس لدينا أية أوراق ضاغطة أو بدائل تذكر!!

* أرجو ألا نصل إلى هذه الحالة التى تعبر عن الاستهانة بكل إمكاناتنا وهى كبيرة، وبكل إرادتنا وهى ليست ضعيفة.

لقد شاهدنا «انتفاضة الأقصى» التى ما زالت مستمرة «حربا للتحرير والاستقلال» وإصراراً على إقامة الدولة الفلسطينية طبقًا لقرار الأمم المتحدة (١٨١) لعام ١٩٤٧، فى هذه المرحلة. وهذه الحرب الفلسطينية هى الرهان الحقيقى لخلق التوازن المفقود مع إسرائيل فى ظل «المعادلات المرتبكة والمختلة». ومن ثم تحتاج لدعم حقيقى بلا مزايدة أو مناورة. فالرهان هو أن تسهم هذه الانتفاضة وحرب التحرير، فى انتفاضة الجسد العربى والإسلامى باتخاذ إجراءات حقيقية وقوية تعبر عن قوة الوجود العربى والإسلامى.

وأستطيع أن أؤكد أن الإدارة الأمريكية وأوروبا بصفة خاصة لا يحترمون إلا لغة القوة، وأى خنوع فى التعامل معهم يزيد الوضع سوءاً. فهم لا يهتمون فى كلتا القارتين إلا بإشعارهم بقوة المخاطب لهم، وما لم تصل لهم هذه القوة، فإن الدبلوماسية كما نرى تسهم فى محاولة تخفيف الأوضاع دون حل جذرى!! فمصالح أوروبا والولايات المتحدة مع العالم العربى والإسلامى بلا حدود، فى حين أن الدولة الإسرائيلية هى أداة الحفاظ على مصالحهم بكل أسف. ولم يعرف عن العالم العربى والإسلامى عدوانيته فى التعامل مع الشعوب الأخرى على مر التاريخ فى إدارة العلاقات الدولية. ولذلك فإن إسرائيل لن تكون ضمانًا لمصالحهم عندنا بأى شكل، بل إن السلام الدائم والعادل فى المنطقة هو الضمان الحقيقى.

نستطيع فى ضوء هذه الحقائق أن:

- نجبر الأمم المتحدة على أن تشكل قوة طوارئ وحفظ السلام فى الأراضى الفلسطينية بين السلطة الفلسطينية وإسرائيل، وهذا يتم عن طريق التهديد بالانسحاب من هذه المنظمة الدولية من قبل (٥٥) دولة عربية وإسلامية. فالولايات المتحدة استخدمت

الڤيتو فى مجلس الأمن ضد إرادة كل الأعضاء للحيلولة دون ذلك. فهل نقف عاجزين أمام هذا الوضع المخزى؟!

- نستطيع أن **نهدد** بقطع العلاقات الدبلوماسية للعرب والمسلمين مع الولايات المتحدة وأوروبا حتى تمارس ضغطًا حقيقيًا على إسرائيل لتنفيذ مقررات الشرعية الدولية.

- نستطيع أن نلوح بتخفيضات فى ضخ البترول تصل إلى حد المنع عن أوروبا وأمريكا إذا ما لم يمارسا ضغطًا حقيقيًا على إسرائيل.

- فتجارة أوروبا مع إسرائيل تصل إلى ٥٠٪ من حجم تجارة إسرائيل على الأقل، فهل نتصور أن التهديد بالمقابل فى إغلاق السوق العربية أمام أوروبا وأمريكا لا يمثل ورقة ضغط عربية وإسلامية؟

- كذلك فإن تفعيل ورقة المقاطعة العربية والإسلامية لإسرائيل تظل ورقة رابحة دفعت إسرائيل ثمنًا لها طيلة خمسين عامًا وصلت إلى ما يقرب من مائة مليار دولار.

- كما أن قطع العلاقات الدبلوماسية مع إسرائيل من كل الدول بلا استثناء، والسعى نحو تفعيل فكرة طردها من الأمم المتحدة، تمثل ورقة أخرى للضغط.

إذن: نحن نمتلك أوراق ضغط هائلة وتحتاج إلى إرادة قوية ونشيطة. ولا شك فى أن الظروف التى يمر بها العالم اقتصاديًا فى هذه المرحلة بعد أحداث ١١ سبتمبر، يمكن أن تشجع على استخدام أوراق الضغط بفعالية تجعلنا ننتصر فى هذه المعركة. ويكفى أن النصر قريب بإذن الله والأمل قوى مهما كانت جسامة خسائرنا البشرية فى فلسطين. إن انتفاضة الأقصى وحرب التحرير أثبتتا باستمراريتهما عجز شارون عن الوفاء بما وعد فى تحقيق الأمن والاستقرار لشعبه الذى انتخبه خلال ثلاثة شهور، ومر الآن ما يقرب من العام.

* * *

المبحث الثالث

الخيار «شارون»، وضرورة تفكيك «الاحتكار الأمريكى»(*)

يتعرض الصراع العربى الإسرائيلى لمأزق حقيقى، حيث يشهد أسوأ مراحله بعد الخيار: شارون، وإصراره على استخدام الآلة العسكرية لتحقيق أهدافه ومآربه التوسعية، وعلى توظيف القوة التى يمتلكها بأحدث أنواعها، فى مواجهة مشروع «السلام العربى» الذى أقره مؤتمر قمة بيروت (٢٧، ٢٨ مارس ٢٠٠٢م).

لم يعد أمام «الحقبة الشارونية» من بدائل أو خيارات سوى لغة القوة مدعومًا بالقوة الدولية المهيمنة على النظام الدولى فى هذه «المرحلة الانتقالية» فى تاريخ العلاقات الدولية، وهى الولايات المتحدة الأمريكية تحت إدارة «بوش الابن».

كما لم يعد أمام العرب الآن، سوى خيار «المقاومة..» فى مواجهة هذا المشروع الشارونى المدعوم دوليًا. وليس من غريب أن انفجار الشارع العربى الذى تصور البعض أنه دفن مع خيار «السلام الاستراتيجى»، جاء فى اللحظة المناسبة لتأكيد خيار المقاومة، ورفض الخيار: شارون. ويمر الصراع العربى الإسرائيلى فى الحقبة الشارونية المدعومة أمريكيًا، بأخطر مراحله. حيث يقوم شارون وحكومته الائتلافية بتدمير كامل لعملية السلام التى بدأت باتفاق أوسلو عام ١٩٩٣م بين الفلسطينيين وإسرائيل، وبالتالى يقوم بتقويض السلطة الفلسطينية والبنية التحتية للمجتمع الفلسطينى فى الضفة الغربية وقطاع غزة، كما يواصل حصاره للزعيم الفلسطينى ياسر عرفات فى مقر رئاسته بـ «رام الله»، ويهدد حياته وحياة كبار مساعديه، ويعطى موافقة لرئيس أركانه الإسرائيلى بإمكانية التخلص من حياة «عرفات» فى الوقت المناسب، وهو بالتالى قد أباح دم زعيم عربى ورئيس لدولة عربية بصورة لم يسبق لها مثيل. فضلاً عن أن الرئيس الأمريكى جورج بوش لم يفكر فى ردع إسرائيل منذ بداية تصرفها المشين صباح

(*) نشرت بالأهرام بتاريخ ٨/ ٤/ ٢٠٠٢م.

الجمعة (٢٩ مارس ٢٠٠٢م)، ولكن أعلن تفهمه لما تقوم به إسرائيل، وأهال التراب ووجه النقد القاسى للزعيم الفلسطينى بأنه السبب فى كل ذلك. وفى آخر تصريحات الرئيس بوش، يؤكد أنه «لا خيار إلا بين العالم المتحضر أو المقاومة الفلسطينية، على وزن لا خيار إلا بين تأييد أمريكا أو دعم الإرهاب، أى إما معنا أو ضدنا». والسؤال هنا هل أصبحت «المقاومة الفلسطينية» التى تسعى لإقامة دولتها الفلسطينية المستقلة على ترابها الوطنى وفق المواثيق الدولية والشرعية الدولية وقرارات الأمم المتحدة رقم ١٨١ لعام ١٩٤٧ وما تلاها حتى آخر قرار رقم ١٤٠٢ الذى ينص على ضرورة وقف العمليات الإسرائيلية والانسحاب الفورى من أراضى السلطة الفلسطينية، فهل أصبحت هذه المقاومة الفلسطينية، إرهابًا، وبالتالى اختياراً معاكسًا للعالم المتحضر؟! وهل العالم المتحضر هو السلوك العدوانى لإسرائيل؟! وهل هذا العالم المتحضر هو الذل والهوان والانكسار وفقدان الكرامة؟!

* لا نريد أن نخوض فى المزيد من النقد لهذه «الحقبة الشارونية» فيكفى أن الشارع العربى يتحرك ويرفض هذه الحقبة. ولعل من الدلالات الإيجابية لمحاولة تسيد هذه الحقبة: أن «الحكام العرب» أظهروا تفهمهم لحركة الشارع العربى الذى أصبح ينبض بالحيوية، وأن المسافات، تبدو فى الأفق، أنها بسبيلها للتقارب أو الالتئام - إن لم يكن التطابق - بين الشارع العربى والحكام. ويشير ذلك إلى أن «الحقبة الشارونية» هى وهم لن يجد سبيله إلى الواقع الفعلى.

وكما أكدت القمة العربية الأخيرة، مدى الإصرار الجدى والفعال على «تطبيب الجروح العربية» تمهيداً لإزالة آثارها، كما حدث فى المصالحة «العراقية السعودية الكويتية»، فإن السلوك الشارونى العنيف، من شأنه أيضًا المزيد من التحام الصفوف العربية من جديد، للتحرك نحو «الفعل العربى» الجاد والمسئول، الذى من شأنه «إعادة الاعتبار» للأمة العربية.

* **والسؤال هنا**: إلى ماذا يقودنا هذا التحليل السياسى؟ لا شك أن نظرية المفاوضات قد أسهمت فى إبراز دور «الوسيط أو الوسطاء». ومن أهم مقومات نجاح الوسيط بين الأطراف المتصارعة: التخلص من فكرة الانحياز إن لم يكن عدم وجوده أصلاً، حتى يلقى مصداقية الأطراف المتصارعة والمتفاوضة، وإلا فشلت هذه العملية بكاملها. وقد سعت الولايات المتحدة إلى احتكار عملية السلام فى الشرق الأوسط بين

الطرفين العربى والإسرائيلى، وحالت دون إعمال مجلس الأمن لدوره وسلطاته فى إرسال القوات الدولية للفصل بين إسرائيل والسلطة، أكثر من مرة باستخدام الڤيتو. فضلاً عن أن التصريحات الأمريكية ومواقف الإدارة الأمريكية (الرئيس بوش ومساعديه)، قد جاءت فى صف إسرائيل ودعم التطرف الشارونى والإرهاب الإسرائيلى، كما جاءت ناقدة ومتحاملة على الطرف الفلسطينى والزعيم ياسر عرفات، بالإضافة إلى إلصاق تهمة «الإرهاب» بالمقاومة الفلسطينية المشروعة. وهو ما يعنى فى المقام الأخير انحيازًا أمريكيًا بصورة غير مسبوقة. وهذا يعنى أيضًا فقدان الطرف الأمريكى لدوره بوصفه وسيطًا محايدًا ونزيهًا.

- فما المخرج من ذلك؟

نرى وفق ما ذهب إليه قادة «الاتحاد الأوروبى» مع التطوير، الدعوة إلى توسيع شركاء الوساطة ورعاة المفاوضات. بعبارة أكثر وضوحًا، فإن الدعوة إلى «مؤتمر دولى» يكون فيه رعاة عملية السلام هم «الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبى وروسيا والصين، والأمم المتحدة والجامعة العربية»، ثم الأطراف الرئيسية فى الصراع وهى «مصر وفلسطين وسوريا ولبنان والأردن والمملكة العربية السعودية - ثم إسرائيل».

وأن هذا المؤتمر يعمل فى إطار الأمم المتحدة وقراراتها، وتكون قرارات المؤتمر الدولى ملزمة ومصحوبة بمبدإ العقوبات للطرف غير الملتزم، وهو هنا سيكون «إسرائيل» بالطبع.

إن مؤتمرًا دوليًا، بهذه الصورة من شأنه أن يضع إسرائيل أمام مسئولياتها، وأن يحمّلها عواقب عدم التزامها، وأن «العقوبات» هى أسلوب التعامل معها فى حالة عدم الالتزام كما حدث فى تجربة البلقان، وغيرها من التجارب.

فتوسيع دائرة الوسطاء داخل المنظمة الدولية ومبادئ عملها هو السبيل لاستعادة الحقوق العربية عامة والفلسطينية خاصة. كما أن هذا هو البديل لدوامة العنف واستمرارية المقاومة الفلسطينية إزاء البطش الإسرائيلى. وأن استمرار احتكار الولايات المتحدة الأمريكية لعملية السلام، وعدم السماح لأى طرف دولى آخر بالمشاركة اعتقادًا منها أنها الخيار الذى لا ينافس، مع انحيازها التام والعلنى والصريح لإسرائيل، من شأنه استمرار التعنت الإسرائيلى والتمرد على الشرعية الدولية، ومن شأنه تشجيع

إسرائيل وشارون على عدم الالتزام بالاتفاقيات المعقودة. كما أن هذا من شأنه أيضًا الضرر بمصالح الولايات المتحدة نفسها فى المنطقة، وتنامى الكراهية ضد الإدارة الأمريكية نتيجة المواقف المنحازة تمامًا لإسرائيل.

- وفى هذا السياق فإن موقفًا أمريكيًا حاسمًا لوقف العدوان الإسرائيلى، مع فعل عربى يدعم المقاومة الفلسطينية بجميع السبل هو الإجراء العاجل للحيلولة دون تنامى التصعيد الشامل فى المنطقة، وذلك إلى حين إعمال المؤتمر الدولى المقترح لأعماله فى أقرب فرصة ممكنة لأجل سلام حقيقى شامل وعادل فى المنطقة. وإنا لمنتظرون.

***

obeikan.com

المبحث الرابع

التصعيد الحتمى لردع الهمجية الصهيونية(*)

ليس هناك من شك فى أن الاجتياح الإسرائيلى لأراضى السلطة الفلسطينية فى الضفة الغربية والهجوم على مقر الرئيس الفلسطينى ياسر عرفات، عقب إتمام مؤتمر القمة العربى الذى انعقد فى بيروت (٢٧ / ٢٨ مارس ٢٠٠٢م)، حيث لم تكن قرارات القمة قد جف حبرها بعد، بعد حصار لمقر «عرفات» منذ عدة أشهر سابقة، قد أسهم فى تأكيد ما كنا نرفض أن نقنع أنفسنا به، وكنا نضغط على أعصابنا لكى نحاول الاقتناع بأن عملية السلام يمكن أن تسير إلى الأمام.

لقد أكد الاجتياح الإسرائيلى وما تمخض عنه من مجازر إسرائيلية ضد الفلسطينيين العزل المدنيين بحجة واهية هى مواجهة «الإرهاب الفلسطينى»!! أن إسرائيل، وليس مجرد شارون فحسب، غير مقتنعة بالسلام العادل والدائم، وغير مقتنعة بحدودها المقررة فى قرار التقسيم الصادر عن الأمم المتحدة رقم ١٨١ لعام ١٩٤٧، وغير مقتنعة بحدودها قبل الخامس من يونيه ١٩٦٧، وغير مقتنعة بأن تكون هناك دولة فلسطينية على حدودها. بل هى مقتنعة فقط بالسلام الإسرائيلى المدعوم أمريكيًا بلا حدود، والذى يقوم على استمرار الاغتصاب الإسرائيلى للأراضى الفلسطينية المحتلة، وكذا الأراضى العربية المحتلة فى الجولان، واعتبار القدس عاصمة أبدية لإسرائيل، وأن المستوطنات الإسرائيلية حق لها فى الأراضى «المحتلة»، وأنه لا حق للفلسطينيين فى العودة إلى ديارهم ضاربة بذلك عرض الحائط - كالعادة - بمقررات القانون الدولى والشرعية الدولية مترجمة فى كثير من قرارات الأمم المتحدة، فضلاً عن قبول شكل هلامى لما يمكن تسميته بدولة فلسطين تصبح شرطيًا لحماية أمن إسرائيل فحسب.

(*) نشرت بالأهرام (صفحة مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية) بتاريخ ٦ / ٥ / ٢٠٠٢م.

لقد أسقط الاجتياح الإسرائيلى، وما خلفه من دمار بشرى غير مسبوق وصل إلى وصف هذا الاجتياح بأنه بربرية وهمجية إسرائيلية بلا نظير فى التاريخ الحديث، أى تفكير جاد فى عملية السلام. كما أسقط كل درجات الثقة فى مفاوضات جادة بعد تلاعبات وعدم التزام بما تم الاتفاق عليه فى أوسلو وما بعدها فى سياق «كامب ديفيد وأخواتها..»، فهل يمكن إذن الوثوق فى اتفاقيات جديدة؟ قد يفهم ذلك التفكير الإسرائيلى فى عهد شارون على أنه انعكاس لموازين قوى تبدو أنها فى صالح إسرائيل، ومناخ موات فى الحرب ضد الإرهاب بقيادة الولايات المتحدة مما شجع إسرائيل على القيام بالوكالة عما تهدف إليه الولايات المتحدة من مواجهة مع المسلمين والعرب فى أرض فلسطين بحجة مقاومة الإرهاب!!، أو قد يفهم بالتالى على أنه مرحلة جديدة من مراحل «صراع السلام العربى الإسرائيلى» قد تستطيع إسرائيل فى ظل اختلالات القوة - حسب تقديراتها - والمناخ المواتى لها دوليًا وإقليميًا، أن تحرز مكاسب غير مسبوقة فى أرض الواقع تغير من سير المفاوضات إلى مسالك ترغب فيها وتكسب واقعًا جديدًا ووقتًا أطول تنتهز معه الفرصة كلما حانت لتحقيق المزيد من المكاسب.

- لا نستطيع أن نفهم هذا الاجتياح الإسرائيلى لأراضى السلطة الفلسطينية فى الضفة الغربية والذى كان متوقعًا، ومعه نتوقع اجتياحًا جديدًا بنفس الدرجة لقطاع غزة لتحقيق نفس الأهداف، بعيدًا عن الموقف العربى المعارض للولايات المتحدة بضرب العراق، والذى أكدته القمة العربية بالتصالح السعودى الكويتى - العراقى، ورفض ضرب أى دولة عربية من أى قوة أجنبية وبخاصة العراق.

- **والسؤال هنا**: ماذا كان رد الفعل العربى؟

نستطيع أن نميز هنا بين مستويين رئيسيين هما:

* **رد الفعل الرسمى الذى تعكسه الأنظمة العربية الحاكمة**: فقد اتسم بالصمت، إلاّ أن هاجسًا مر بخيالى بأن هذا الصمت الغريب وغير المسوَّغ هو سلاح جديد من أسلحة العرب للردع ضد إسرائيل والولايات المتحدة، على وزن «مافيش بينا كلام.. أو أنا ماليش دعوة بيك.. أو اللى بينى وبينك انقطع.. أو إعطاء ظهرك لمحدثك تعبيرًا عن غضب صامت»!!

وقد فسره البعض بالمؤامرة الرسمية على الفلسطينيين فى سياق التاريخ العربى فى التآمر منذ عام ١٩٤٨م، وقد فسره آخرون بأن كل زعيم يقول: «تيجى من غيرى ومش منى». إلا أن التفسير العلمى هو ما ذهب إليه بعض الأساتذة الذين أشاروا إلى أن الصمت العربى هو نتاج لزيادة درجة التغلغل الأمريكى الذى أعطى الصلاحية لإعمال سلاح الضغوط الصريحة بعدم فعل شىء. وهو ما ذهب إليه آخرون بأن ثمن هذا الصمت الرسمى هو سقوط النظام العربى نفسه، من زاوية إما فعل عربى وإما سقوط وانهيار لفكرة النظام العربى لأنه لم يعد له صلاحية تذكر فى هذا الإطار. وقد تدافع بعض الأنظمة من خلال متحدثيها الرسميين أو بالوكالة بأنها قامت بالدعم المادى والغذائى!!، فهل هذا هو الوجه المقابل لمواجهة الدبابات والطائرات والصواريخ الإسرائيلية ضد شعب أعزل لا يملك وسيلة رادعة للدفاع عن نفسه؟!

* **المستوى الثانى: رد الفعل الشعبى**: وقد بدأ واهنًا من شدة الضغوط المتراكمة عليه، حتى استطاع أن ينفض عن جسده كل العوائق لنجد اندفاعة جماهيرية من المحيط إلى الخليج على المستويات كافة (شباب الجامعات الذى يعكس حيوية الأنظمة السياسية، والنقابات المهنية والمنظمات غير الحكومية، ولجان المقاطعة، ولجان دعم الانتفاضة الفلسطينية، ووسائل الإعلام بمختلف أنواعها الفضائية والأرضية.. إلخ)، حيث قام كل طرف بجهد وافر فى الدعم المعنوى والمطالبات السياسية بطرد السفير الإسرائيلى، ووصلت إلى حد إعلان الحرب ضد إسرائيل، والمطالبات بالدعم العسكرى للفلسطينيين بتقديم السلاح لهم، والمعونات المادية التى تساعدهم على الصمود. بل إن من بين المطالبات اتخاذ إجراءات تصعيدية ضد إسرائيل والولايات المتحدة، واستخدام سلاح البترول سياسيًا، وقطع العلاقات الدبلوماسية مع أمريكا والغرب، أو حتى استدعاء السفراء العرب من هناك لمجرد التشاور؛ أو سحب الأرصدة العربية من البنوك الأمريكية والأوروبية، أو إعلان إغلاق السوق العربية أمام المنتجات الأجنبية... إلخ. ولا شك فى أن جملة المطالبات الشعبية، والجهود الجماهيرية المنظمة كان لها صدى كبير وإنجاز ملموس وهى ما زالت مستمرة. وبدلاً من توظيف هذه الضغوط الشعبية لحساب القضية العربية فى مواجهة الولايات المتحدة، واجهت بعضها قمعًا بلا حدود، إلا أن حق هؤلاء فى التعبير تأكد مع استمرار هذه المواجهات بين الجماهير والشباب والسلطات المختلفة. وبدلاً من التفاعل الرسمى

مع المطالبات الشعبية حتى تكون الأنظمة قوية بالجماهير، وجدنا الفجوة تتسع بين الطرفين، إلى حد الإعلانات الرسمية على عدم اتخاذ أى إجراءات تصعيدية تعبيراً عن الجماهير بمختلف قطاعاتها. وصل من جراء ذلك أن شاهدنا نقداً متزايداً للحكام بصورة غير مسبوقة فى ربوع الوطن العربى كله. بل إن رد الفعل الرسمى لم يكن بالتالى متوازيًا مع المطالبات الشعبية فحسب، بل سعى لإعاقة التفكير فى أى بدائل والتقليل من شأنها، كما رأينا فى الحديث عن عدم جدوى سلاح البترول، وعدم جدوى الحرب لعدم «الانجرار» وراء إسرائيل، وعدم انفعالية القرارات وراء الشباب المتهور!! وعدم جدوى سلاح المقاطعة للمنتجات الأمريكية؛ لأنها تخرج من شركات بها عاملون عرب، وعدم جدوى إمكانية إرسال سلاح للفلسطينيين لعدم التصعيد مع إسرائيل وأمريكا، وعدم جدوى طرد السفير، وعدم جدوى أى شىء... !!

- ومن هنا كانت الدعوة لسيادة الأمر الواقع، والحفاظ على الأوضاع القائمة من خلال استيعاب المطالبات الشعبية حتى تهدأ من جانب وتنجز إسرائيل مهمتها فى الأراضى الفلسطينية من جانب آخر، ونعود إلى المسيرة الأولى لمجريات الأمور قبل الاجتياح الإسرائيلى البربرى، وحصار عرفات، وكأن شيئًا لم يكن. وهذه دعوة فى تقديرنا هى دعوة لهيمنة إسرائيلية مدعومة أمريكيّا بشكل علنى ومباشر، على مقدرات المنطقة بلا حدود. وهى دعوة للتفريط فى أمننا القومى بصورة مستنفرة. فقد أكدت الأحداث سقوط «ثقافة السلام»، وارتفاع قيمة «ثقافة المقاومة» على الأصعدة كافة داخل فلسطين وداخل أرجاء الوطن العربى على مستوى الشعوب على الأقل.

- إن التصعيد الحقيقى هو الإصرار الشعبى على البلوغ لتحقيق الأهداف القومية بالعمل المنظم والمؤثر والمدروس. كل ما هو مطلوب من الأنظمة الرسمية أن تترك الفرصة الكاملة أمام حركة الشعوب بلا قيود؛ لإعمال ثقافة المقاومة باستمرار المقاطعة للسلع الأجنبية وبخاصة الأمريكية، والدعم المستمر للشعب الفلسطينى. وإن أرادت أن تستجيب وفقًا لمنطق التصعيد المحسوب، فهنيئًا لها بترجمة طموحات الشعوب، وإن لم ترد فعليها ألا تعوق منطق التطور فى حركة المقاومة الشعبية والتحركات الجماهيرية المنظمة والرسمية فهى سبيل جديد وقوى لحماية مقدرات الوطن لا يجب إغفالها تحت أى مبرر. وأعتقد أن التحركات الشعبية حتى الآن ناجحة، ولهذا تناول آخر.

المبحث الخامس

أفول حقبة الاستعمار الصهيونى(*)

ما هذا التوصيف الردىء لما يحدث فى الأرض الفلسطينية؟! حيث يشيع البعض وبخاصة فى الدوائر الغربية والإعلام الأمريكى والأوروبى أن هناك عنفًا وعنفًا مضادًا، دون عودة لأصل الموضوع ومضمونه. وهذا الشائع بأن ما يجرى هو «العنف» لدليل على أكبر انحياز للجانب الإسرائيلى، وأكبر ظلم للشعب الفلسطينى الذى يعيش كل القهر الذى لم تشهده حتى أسوأ العصور التاريخية ظلمًا واستبدادًا وقهرًا وتعذيبًا، وبخاصة العصور الوسطى. فالشعب الفلسطينى أرضه محتلة منذ عام ١٩٤٨م، وقد اغتصبها عدو فاجر بمساندة دولية ظالمة، هو العدو الإسرائيلى، منذ أكثر من نصف قرن. فهل يمكن وصف هذا الشعب عندما يهب وينتفض ويسعى لتحرير أرضه - المعترف بها وفق تقسيم الأمم المتحدة عام ١٩٤٧ بالقرار (١٨١) - ليعيش حياة آدمية طبيعية بعد هذا المشوار الطويل من العذاب والذل والمهانة، بأنهم يعتدون ويمارسون «العنف» ضد إسرائيل!!. وفى الوقت نفسه الذى تنتهك إسرائيل فيه كل ساعة حقوق الفلسطينيين وتستخدم العنف دون مسوِّغ ضد شعب أعزل لا يملك غير «الحجارة والنبلة» وبعض المفرقعات البدائية!!. ولا توجه له أى إدانة، بل تقف الولايات المتحدة ضد إرادة المجتمع الدولى فى مجلس الأمن باستخدامها «الڤيتو»، لإيقاف قرار إرسال قوات رقابة دولية فى الأراضى الفلسطينية المحتلة. فأمريكا أقرت بديل الرفض لمعرفتها المسبقة بأن إسرائيل ستدان لما لها من سجل فى استخدام العنف الواسع والعشوائى ضد الفلسطينيين باستمرار.

* إن التوصيف الحقيقى لما يجرى فى الأرض الفلسطينية المحتلة هو ما يمكن تسميته بـ «حرب التحرير»، أو بـ «حرب الاستقلال الفلسطينية»، وهو ما ذهب إليه **الدكتور**

(*) نشرت بالأهرام، بتاريخ ٢٩ / ٦ / ٢٠٠١م.

أسامة الغزالى فى مقاله المنشور فى أهرام ٩ / ٦ / ٢٠٠١م. وخلص د. أسامة فى ختام مقاله إلى أن مضمون هذه الحرب التى تمثل المرحلة الأخيرة فى النضال الفلسطينى، ليس هو «الأرض مقابل السلام»، بل «الحرية والاستقلال مقابل السلام».

وقد دعا الأستاذ / نبيل عمر فى عموده بعنوان «سؤال حائر!» يوم ١٢/ ٦/ ٢٠٠١م، إلى ضرورة الأخذ بمصطلح د. أسامة الغزالى، وهو «حرب الاستقلال الفلسطينية»، بدلاً من مصطلح الانتفاضة، لما للأول من تأثير ومعنى فى وجدان الرأى العام العالمى، عكس ما يمثله تعبير الانتفاضة من لبس عند توظيف الرأى العام الغربى الذى تغذيه إسرائيل بأنه أحداث شغب وعنف موجه ضد المدنيين الإسرائيليين.

* وفى هذا السياق فإننى أؤكد على ما ذهب إليه د. أسامة، من أن الحادث الآن هو المرحلة الأخيرة فى معركة الاستقلال الفلسطينى، وأن حرب التحرير والاستقلال هى الوسيلة الوحيدة لإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة ذات السيادة وفق قرار الأمم المتحدة الذى دخل حيز التنفيذ للإسرائيليين عام ١٩٤٨م، دون الفلسطينيين!! ويستتبع ذلك التأكيد على ضرورة المساندة العربية العلنية والمباشرة للشعب الفلسطينى الثائر لدعمه فى هذه المعركة، حتى يستطيع أن يجبر إسرائيل على التسليم بالدولة الفلسطينية على أسس الشرعية الدولية الصحيحة. وقد وصل الأمر بهذا الشعب إلى درجة من الإحباط لم يعد مجديًا معها الاستمرار فى الحياة فى ظل هذا الهوان والظلم والقهر. وهو ما قد وصل بالأستاذ سلامة أحمد سلامة فى عموده فى ١١ أبريل ٢٠٠١م بالأهرام، إلى قوله «إن الفلسطينيين لن يبقى أمامهم شىء إذا استسلموا للأمر الواقع، ولكنهم لن يخسروا أكثر مما خسروه إذا صمدوا للمقاومة». وهذا يفسر سر تزايد العمليات الاستشهادية للشباب الفلسطينى، بل إن ما نشر على أن هناك أكثر من (٣٠٠) شاب ينتظرون الأمر بالاستشهاد فى عمليات مقاومة ضد الإسرائيليين، يؤكد حقيقة الإصرار الفلسطينى على المستوى الشعبى، على الاستمرار فى حرب التحرير حتى النهاية.

* **والسؤال**: ما معنى أن يأتى السيد / مدير المخابرات الأمريكية بنفسه إلى المنطقة ويلتقى بمسئولى وقيادات المنطقة أكثر من مرة؟ الإجابة تحمل كثيراً من التفسيرات لعل فى مقدمتها أن تصاعد الإصرار الشعبى الفلسطينى على خوض معركة الاستقلال والتحرير سيكبد العدو الإسرائيلى خسائر بلا حدود، وسيدخل الشعب الإسرائيلى فى

دوامة من الرعب لم يسبق لها مثيل، وهو ما أكدته استطلاعات الرأى فى إسرائيل. ووفق ما نشرته صحيفة «يديعوت أحرونوت» الإسرائيلية، قبل آخر عملية فدائية فلسطينية فى قلب تل أبيب التى راح ضحيتها ٢٠ قتيلاً إسرائيليّا، وأكثر من مائة جريح، وهى التى وقعت فى الأول من يونيه ٢٠٠١م، فإن ٣٨٪ يفكرون فى الهجرة والنزوح، ٦٤٪ مزاجهم سيئ. أما بعد وقوع العملية بأسبوع واحد فقد نشرت «معاريف» نتائج استطلاع آخر، أكد أن ٦٣٪ من الإسرائيليين قلقون على أمنهم الشخصى، ٦٧٪ قلقون على إسرائيل نفسها، وأن ٤٤٪ ترددوا فى زيارة المجمعات التجارية والأسواق العامة نتيجة الخوف.

* وعلى الجانب الفلسطينى، فإن استطلاعًا للرأى أجراه «المركز الفلسطينى لاستطلاع الرأى»، فى الأرض الفلسطينية المحتلة يومى ٢٤، ٢٦ مايو ٢٠٠١م، أعلن أن ٧٥,٧٪ يؤيدون استمرار الانتفاضة، ٧٣,٧٪ يؤكدون أن استخدام إسرائيل لطائرات إف ١٦ فى قصف الشعب الفلسطينى يؤدى إلى زيادة دوافعهم نحو الانتفاضة، كما أن لدى ٥١٪ اعتقادًا كبيرًا بأن الجمهور الفلسطينى لديه قوة صمود عالية إلى أن يتم إحراز اتفاق سياسى مقبول.

* وتؤكد هذه الاستطلاعات على الجانبين، أن الموقف الإسرائيلى يسير فى نفق التدهور، وأن الأمر يحتاج إلى تدخل عاجل وهو ما جعل مدير المخابرات الأمريكية يأتى بنفسه لإنقاذ إسرائيل أولاً وأخيرًا.

والمعنى الثانى الذى أقرأه من خلال ثنايا التصريحات وتطورات الأمور، أن الإصرار الفلسطينى على المقاومة وخوض حرب التحرير حتى النهاية، قد يقدم صيغة متطورة من «حزب الله» الذى أصبح رمز المقاومة، وأداة إجبار إسرائيل على الرحيل من جنوب لبنان بلا شرط أو قيد. وقد يسهم ذلك فى تغذية وتقوية التيارات الأصولية التى أعلنت على لسان رموزها فى حماس والجهاد، أنهم سيستمرون فى مقاومة إسرائيل حتى ترحل إلى حدود الرابع من يونيه ١٩٦٧م، بلا قيد أو شرط. فربما تأتى هذه الزيارة لوقف تنامى التيار الأصولى، بعد أن أصبح «حزب الله» هو الحل فى التعامل مع إسرائيل، وبعد أن أثبتت «انتفاضة الأقصى» وهى الانتفاضة الثانية، قدرتها على الصمود فى خوض حرب التحرير والاستقلال.

* **ولكن السؤال يبقى قائمًا** : هل التدخل الأمريكى من خلال مدير مخابراتها (چورچ تينيت)، سيسهم فى إيجاد حل حقيقى بين الفلسطينيين وإسرائيل، أو بين العرب وإسرائيل؟ إننى لا أقلل من مجهود رجل الأمن الأول ليس فى أمريكا بل فى العالم، ولا من مجهود بعض الوسطاء الإقليميين من المنطقة أو من أوروپا، ولا من مجهود الدور الروسى الأخير، ولكن ما يمكن قوله فى هذا الصدد أن تدخلاً ما لا يحسم كل الأمور دفعة واحدة لا يمكن أن يسهم فى خلق أوضاع مستقرة. بل كل ما نراه على السطح هو هدوء مؤقت يسبق العاصفة انتظارًا لما يمكن أن تسفر عنه الجهود الجارية!!

* فاستمرار حرب التحرير والاستقلال، أصبح ضرورة لحسم الأمور بشكل نهائى، فكثير من المحللين الإسرائيليين أعلنوا واعترفوا بأن تل أبيب لن تنجح فى قمع «الانتفاضة» برغم تفوقها العسكرى واستخدامها لأحدث الطائرات (إف ١٦)! وها هى ذى صحيفة «ها آرتس» الإسرائيلية فى عددها فى ١٢ / ٦/ ٢٠٠١م، تدعو إلى توفير مساكن جديدة لإقامة المستعمرين الإسرائيليين داخل حدود عام ١٩٤٨م بعد الضربات الموجعة للفلسطينيين، بعيدًا عن المستعمرات الحالية وبديلاً عنها.

* ومن ثم فلا سلام فى ظل احتلال إسرائيلى للأراضى الفلسطينية والعربية. فالاستعمار الإسرائيلى عليه أن يرحل من الأراضى المحتلة، وآن الأوان كى تقوم إسرائيل فى ظل حدودها التى أقرتها الأمم المتحدة - بشرعية زائفة - عام ١٩٤٨م، وإلا فإن الحديث من البداية سيكون هو ثمن عدم الرحيل الإسرائيلى. فمقولة «أعطى من لا يملك (انجلترا)، وعدا (بلفور) لمن لا يستحق (إسرائيل)» ستكون شعارًا لمرحلة قادمة، إذا لم تراجع إسرائيل والولايات المتحدة موقفهما فى ظل المعادلة الجديدة لحرب التحرير والاستقلال الفلسطينية. فلم يعد هناك من مفر أمام الفلسطينيين إلا التضحية بنصفهم من أجل أن يعيش النصف الآخر فى أرضه وفى دولة مستقلة آمنة ذات سيادة.

- فالمستعمرات - وليس المستوطنات - لا بد من الإسراع فى تفكيكها، وقضية القدس هى قضية العرب والمسلمين لتكون عاصمة للدولة الفلسطينية، وعودة اللاجئين الفلسطينيين، هى من القضايا الواجب حسمها قبل أن تتطور الأمور لما ليس فى صالح

إسرائيل أولاً، ثم فى غير صالح الولايات المتحدة ثانيًا، وقبل أن يأتى يوم لا ينفع فيه الندم أو طلب العفو!!

* **وفى الختام** فإن حرب الكفاح والتحرير والاستقلال، بدأت ومضى عليها أكثر من تسعة أشهر حتى الآن (يونيه ٢٠٠١م)، لتستمر من أجل إقامة الدولة الفلسطينية المستقلة. وأرى فى الأفق بوادر النصر. وأمام العرب فرصة تاريخية عليهم أن يستثمروها بمساندة واسعة دون تردد أو مواربة، قبل أن تطولهم آثارها.

* * *

obeikan.com